الدلالة الأخلاقية للنقد الأدبي العربي في العصر الجاهلي النابغة الذبياني انموذجا

يوسف عبد عيسى الطائي

طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها كلية اللغات الأجنبية-جامعة أصفهان-إيران

Yosifyosif7080@gmail.com

سماهرعبد الهادي عبد علي العتابي

طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها كلية اللغات الأجنبية-جامعة أصفهان-إيران

samahralatabe@gmail.com

د. حسين ميرزائي نيا

h.mirzaieniya@.fgn.ui.ac.ir

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها كلية اللغات الأجنبية-جامعة أصفهان

The moral significance of Arabic literary criticism in the pre-Islamic era, Al-Nabigha Al-Dhubyani as a model

Dr. Hossein Mirzaei Nia Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, College of Foreign Languages, University of Isfahan, Iran, Department of Arabic Language and Literature, - PhD Student Yousef Abd Issa Al-Taie Languages, University of Isfahan, College of Foreign Languages, Iran PhD student, University of Isfahan, Department of Arabic Language, Samaher Abd Al-Hadi Abd Ali Al-Atabi Isfahan University - Iran

Summary:
The moral significance in Arabic criticism is a topic of great importance in the formation of a balanced literature that enjoys the objectivity of the characteristic of justice and satisfaction in the stages of literary and artistic competition through the preparation and completion of literary works that the writer, especially the poet in the pre-Islamic era, being the dominant artistic color in the field of speech and literary composition ; The critical process, which is dominated by a fair monetary moral significance, is considered effective and complete in evaluating and evaluating literary works. According to the principle of competition between poets, writers, and intellectuals, it has the effect of generating a feeling of desire to accomplish more and more, as long as there is a fair field for achievement and a space for evaluation. Fair and satisfactory. In our research, we will deal with the critical process in the two stages, the stage of numbers and saying in the literary works accomplished by poets in particular and writers in general in the pre-Islamic era, and the most important features of criticism cloaked in the principle of fair moral ethics. A critic in the pre-Islamic era, who is the poet Al-Nabigha Al-Dhubyani, using poetic models from that stage as a literary sample to indicate the moral significance of literature. In this study, we deliberately followed the analytical descriptive approach, as it is most appropriate for such a study.
Keywords: moral significance - literary criticism - the pre-Islamic era - Al-Nabigha Al-Dhubyani

الملخص:

تعد الدلالة ألأخلاقية في النقد العربي موضوعة لها من الأهمية البالغة في تكوين أدب متزن يحظى بالموضوعية التي تعتريها سمة العدالة والرضا في مراحل التنافس الأدبي والفني من خلال أعداد وإنجاز الأعمال الأدبية التي يمكن للأديب وخصوصاً الشاعر في العصر الجاهلي كونه اللون الفني السائد في مضمار القول والتأليف الأدبي ؛ وتعتبر العملية النقدية التي تسودها الدلالة الأخلاقية النقدية العادلة ناجعة ومنجزة في تقييم وتقويم الأعمال الأدبية؛ وفق مبدأ التنافس بين الشعراء و الأدباء والمثقفين وله الأثر في توليد الشعور بالرغبة في إنجاز المزيد والمزيد مادام هناك ساحة للإنجاز عادلة ومساحة للتقييم العادل والمرضي ولقد عمدنا في هذا الدراسة وفق المنهج الوصفي التحليلي، كلونه الأنسب لمثل تلك الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الدلالة الأخلاقية– للنقد الأدبي – العصر الجاهلي– النابغة الذبياني

١-أهمية البحث:

أن موضوع هذه الدراسة هو الدلالية الأخلاقية في النقد الأدبي العربي والهدف منها بيان مدى اعتماد النقد الأدبي على الخلاق والدلالات التي تعنى بها في نقد وتحليل الأدب والشعر بصورة خاصة فالدلة الأخلاقية ارتبطت بالعمل الأدبي الجاهلي ولم تفارقه بأي شكل من الأشكال منذ نشأته وظلت مسايرة له في تطوره على مر العصور التي كونت ذلك الأدب حتى اليوم.

٢-أسئلة البحث:

١–ماهو مفهوم الدلالة الأخلاقية في النقد الأدبي عند العرب الجاهليين؟

٢–كيف أثرت النقودات الأدبية للنابغة الذبياني في خلق ظاهرة النقد التطبيقي للنصوص الأدبية الجاهلية؟

٣-الدراسات السابقة:

١–جواد، أنور–حنون، بشرى. (٢٠١٩) في مقال تحت عنوان (الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر عند ابن باكثير الحضرمي(ت٩٧٥هـ) في كتابه تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب) وقد نشر البحث في مجلة آداب المستنصرية في العدد ٧٨ في أيلول سلط الباحث فيه الضوء على مفهوم الأخلاق فينقد الشعر ونشأته.

٢–زيناي (٢٠٢٠) في مقال تحت عنوان (إشكالية العلاقة بين الشعر والأخلاق في النقد العربي القديم) وقد نشر المقال في مجلة قضايا الأدب، في المجلد الخامس العدد الأول. حيث تناول الباحث فيه البدايات الأولى لتلك الإشكالية بين الشعر والأخلاق في الموروث النقدي العربي.

المقدمة:

الدلالة الأخلاقية هي: المعيار الأهم في تحليل ونقد الأدبي في العصر الجاهلي وسنتناول في بحثنا هذا العملية النقدية في المرحلتين مرحلة الأعداد والقول في الأعمال الأدبية المنجزة من قبل الشعراء خصوصا والأدباء بصورة عامة في العصر الجاهلي وأهم سمات النقد المكتسي بمبدأ الأخلاق الأدبية العادلة والمرحلة الأخرى التي تعنينا بالدرجة الأهم هي مرحلة نقد تلك الأعمال الأدبية والتطرق لأهم ناقد

في العصر الجاهلي وهو الشاعر النابغة الذبياني مستعينين بالنماذج الشعرية من تلك المرحلة كعينة أدبية للدلالة لأخلاقية للأدب والنقد على وجه الخصوص.

١-٣-**العصر الجاهلي:**أن الحديث عن العصر الجاهلي من جهة الأدب والنقد، فهو حقاً عصر ذو غزارة علمية لا تكاد تنكر، وحينما يطلع المختصون في الدراسات النقدية وحفريات التاريخ الأدبي فقد أوجد الإنسان اللغة «حيث وضع مفردات أي الفاظ مستعملة بدلاً عن الأصوات الطبيعية الشبيهة بأصوات العجماوات. هذه المفردات النابعة من قدرة الإنسان على تسمية الأشياء تراكمت شيئاً فشيئاً، وتآلفت لتشكل جملاً، واجتمعت الجمل لتشكل نصوصاً تحمل رسائل بين الناطقين والمتلقين. لكن البشرية لم تبق على وتيرة واحدة بل تفرعت وتمايزت وتطورّت كل يوم، لتعكس تطوّرات الفكر في المجتمعات البشرية» **(خاقاني،١٣٩٦هـ. ق:١٥)** لقد كان هذا التفاعل بين الأنسان وبيئته المصدر الأساسي في تبلور الثقافات والآداب لدى مختلف شعوب الأرض وتأثير البيئة في موضوع الأدب، لو نظرنا إلى الآثار الشعرية، لرأينا أن المواضيع التي يتصدى لها الشاعر، هي، غالباً، مستفادة من واقع بيئته. فالجاهلي لم يكد يتخلى عن ذكر الناقة والظليم والبقرة الوحشية، بالإضافة إلى وصف المفازات الموحشة والريح والمطر والرمضاء.

١-٤**الشعر العربي منتج العصر الجاهلي:**لقد امتازت كل أمة من الأمم عبر تاريخها الطويل الحافل بالتقلبات الاجتماعية والثقافية والفكرية بمنتجها الفكري الخاص فالإغريق واليونان قد تميزوا بالبلاغة والفلسفة أما العرب فقد مازهم الشعر « فالأدب العربي الجاهلي نتيجة صادقة لبيئته، وحياتهم الطبيعية جعلتهم يقصدون إلى أغراض معينة استلزمتها الحياة الصحراوية في البادية، والتي تشبه الصحراوية في المدن فعواطفه وعقليته وأسلوبه نتيجة لنوع حياته؛ فالحياة عنده قاسية مجدبة، وهو في هذه الحياة المجدبة كان يغني وفقًا لقانون التعويض كالذي نراه في بيئاتنا من أكثر الناس بؤسا في الحياة أشدهم ولوعًا بالتغني ليروح عن نفسه، وقد كان العربي يغني لنفسه، ويشرك في غنائه ناقته أو جمله» **(أمين،٢٠٠١: ٣٥٧)** فقد كان الشعر وخصوصاً الشعر الغنائي الجاهلي وسيلة يتكأ عليها البدوي على بيئته **القاسية** «كان الشعر عند نقدته من الجاهليين صياغة وفكرة، كان نظما محكماً أو غير محكم»**(إبراهيم،١٩٣٧: ٢١)** ويضاف إلى ذلك «فالشعر، كذلك، ليس سوى وجه من وجوه التعبير عن تصارع الأنسان بما يحيط به، وبما يفرض عليه من مؤثرات في سعيه لتحقيق ذاته ودأبه وراء السعادة. ولو كان الجاهلي يعايش بيئة غير الصحراء، وواقعاً اجتماعياً يخالف واقع التنازع والغزو، لما قدر لنا أن نشهد المعاني والمواضيع التي ترددت فيه» **(قصاب،٢٠٠٥: ١٣)** ومما يشهد لأولئك الصحراويين بأنهم كانوا فيهم من العواطف والأحاسيس ما يخالف طبيعتهم الخشنة في «كل شيء في حياة العربي في الجاهلية رجع إلى الصحراء. فنظام معيشته وطريقة تفكيره، ونوع، شعوره، وما اعتاد من كريم العادات وذميم الخصال، وما وهم من قوى تنصر وتخذل وتسعد وتشفي كل أولئك من أثر الحياة البادية التي يحياها ومن أثر المشاهدات التي يراها، ومن أثر الفيافي الموحشة التي تطالعه صباح مساء. «فالصحراء هي التي جعلت العربي شجاعاً متفانياً في الشجاعة، فخوراً إلى أبعد غايات الفخر، زاهياً بنفسه حتى الإغراق، معجباً بقومه كل الإعجاب وهي التي جعلته سمح النفس ندي الكف، يجود بأنفس ما لديه، ويجود في الوقت العصيب، وهي التي جعلته لصاً يستاق الأموال ليست له، ويغير على الأحياء للنهب والسلب والصحراء هي التي جعلت العربي راحلاً لا يكاد ينزل، ظاعناً لا يكاد يقيم يبتغي العشب الماشيته، ويتحرى مساقط الماء في الصيف والربيع»**(إبراهيم،١٩٣٧: ١٥)** ومما لا يمكن أن يغفل عنه لتلك المرحلة من التاريخ الإنساني وما أعتاد على تسميته بالعصر الجاهلي أنهم قد تأثروا بالحضارات والثقافات للشعوب المجاورة كالحضارتين الفارسية والرومانية «ولم يحولا شعبا عن أن يحتفظ بملامحه الخاصة من الثقافة والفكر ومن العادات والتقاليد وأشكال لا حصر لها من شؤون الحياة، بل عن التمسك باللون المحلي ليبدو الشعار الحضاري الذي ترفعه كل أمة، وهو الذي يحمل الأنسان في كل زمان ومكان متعة الترحل والسياحة، ويدفعه إلى المغامرة الدائمة بحثاً عن نغمة متميزة يجدها عند الآخرين. وفي الأدب يبحث النقاد عن البيئة المحلية التي يصورها هذا النص أو ذاك ،وعن ملامح البطل الخاصة ،وشخصيته القومية ،ويتساءلون عن مدى الصدق في تصوير هذا كله»(قصاب،٢٠٠٥: ١٣)فقد كان تاريخ النص الشعري العربي عميق في المنشأ والمعنى والغرض «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرَّجُل في حاجتِه، وإنّما قصدت القصائد وطول الشعرُ على عَهْد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف) وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وخمير وتبع»(**(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٢٦)** بالإضافة إلى ما تقدم فقد «كان لتنقلات العرب إلى العراق والشام وفارس وللأحداث السياسية والاجتماعية التي حدثت لهم والحروب التي كانت بينهم أثر كبير في شعرهم، وعمل كل ذلك عمله في نضج الشعر وصبه في القوالب المعينة، حتى وصل إلينا ناضجا كما نرى » **(أمين،٢٠٠١: ٣٥٧)** والاستنتاج العقلي لا يقتنع بأن ما وصل من الشعر الجاهلي

هو البداية الأولى للشعر فهو شعر ناضج لغتاً وشكلاً وفي الأغراض الفنية التي قيل فيها ومثال على ذلك ما أورده ابن سلام «قال أبو محرز: فتزوج مالك بن زيد مناة، النوار بنت جَل بن عدى بن عبد مناة بن أد – وهم عدى وتيم، ويقال لتيم: تيم عدى. وهما من الرباب، وكانت امرأةٌ زَوْلَةٌ جَزَلَةٌ فلما اهْتَدَاهَا، مالك، خرج سعد في الإبل فَعَرَبَ فيها ثم أوردها لظمئها ومالك فى صُفْرةٍ وكان عروساً، فأراد القيام، فمنعته امرأته من القيام، فجعل سَعْدُ وهو مُشْتَمِل يُزاول سفيها ولا يرفق، فقال:

يَظَلُّ يَوْمَ وردها مُزَعْفَرًا وَهِي خَنَاطِيلُ تَجُوسُ الخَضَرَا

فقالت النوارُ لمالك: ألا تسمع ما يقول أخوك؟ أَجِبْهُ. قال: ومَا أقول؟ قالت: قل

أوردَها سَعَدٌ وسَعْدٌ مُشتَمِل ما هكذا تورد يا سعد الإبل» (الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٢٩-٣٠)

تلك اللوحة في الحوار بين الأخوين العريس والآخر دليل ة بعلى نبل العربي بالسجية فهو تحمل المشاق عن أخيه لكونه عريس.

١-٥الدلالة في اللغة:لقد وردت كلمة دلالة ومرادفاتها في المعاجم العربية المعروفة وهي على صور عدة منها: «دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وهو دَلِيلُ المَفَازَةِ وهم أدلاؤُهَا، وأَدَلْتُ الطَّرِيق: اهتديت إليه.. والدالُ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ) أي بمعنى الإرشاد إلى الطريق الموصل إلى مكان ما» **(الزمخشري ج١، ١٩٩٨: ٢٩٥)** بالإضافة إلى «ما يُتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود والحساب وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصده؟» **(الراغب الأصفهاني ج١، ١٤١٢ هـ :٢٢٨)** فكلمة دلالة تتنقل بين الأشارات والرموز أو العلامة «فدِلَّهُ على الشَّيء يَدُلُهُ ودلاً وَدَلَالَةٌ فَانْدَلَ: سَدَّدَهُ إليه. والدليلُ: مَا يُسْدَلُ به. والدليلُ: الدَّالُ. وقد دَلَّهُ على الطريق يدله دَلالَة ودِلالة ودُلُولة، والفتح أعلى. «والاسم: الدلالة والدلالة بالكسر والفتح والدُّلُولَةُ والدَّلِيلي. قال سيبويه: والدَّلِيلي عِلْمُهُ بالِدَّلالَةِ وَرُسُوخُهُ فِيهَا» **(ابن منظور ٢٠١١: مادة د. ل.ل)**

١-٦الدلالة في الاصطلاح:لقد ترافقت مفردة دلالة في الموروث اللغوي مع علم اللغة أو اللسانيات بشكلها العام، ثم ما لبثت أن تفرعت لتصل مختلف العلوم والمجالات، ومنها الدلالة الأدبية التيس دلت في ميداني الأدب الشعر والنثر «التعريف بعلم الدلالة وأسماؤه: أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة .(Semantics) أما في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة – وتضبط بفتح الدال وكسرها. وبعضهم يسميه علم المعنى) ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول: علم المعاني لأن الأخير فرع من فروع البلاغة)، وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك، أخذا من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية. تعريفه: يعرفه بانه دراسة المعنى، أو هو العلم الذي يدرس المعنى، أو بعضهم: ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى» وبعظهم يعده هو «ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى» **(مختار، ١٩٨٥: ١١)** فمصطلح الدلالة عرفه العرب وأسموه معنى المعنى أي ما يرمز إلى المعنى «في القديم: تعرض الفلاسفة اليونانيون من قديم الزمان في بحوثهم ومناقشاتهم الموضوعات تعد من صميم علم الدلالة هذا أن الدراسة الدلالية قديمة ومعنى قدم التفكير الإنساني، ومواكبة لتقدمه وتطوره. من وقد تكلم أرسطو مثلا: الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، وميز أرسطو بين أمور ثلاثة:

أ – الأشياء في العالم الخارجي.

ب – التصورات – المعاني.

ح الأصوات – الرموز أو الكلمات.

أ– الأشياء في العالم الخارجي. وكان تمييزه بين الكلام الخارجي، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم الغربي خلال العصور الوسطى» **(مختار،١٩٨٥: ١٧)** ولقد نهل الشاعر العربي من بيئته الخارجية مما ساعده على أضافت الكثير لذائقته الأدبية والشعرية مما جعله قادر على الخلق والأبداع كما في إنجازه للمعلقات.

ب– المعاني: فقد تنبه الناقد العربي الأول بفطرته على ضرورة أن تكون المعاني أليفة وواقعية كيما تلامس عقول وأذوق العامة «ففي العصر الجاهلي نلحظ أن العرب كانت تزعم أن المهلهل بن ربيعة (كان يدعى في شعره، ويتكثر في قوله أكثر من فعله) كما أورد ذلك (الجمحي، السفر الأول (٤٠) والمرزباني: ٨٩)، في أشارة منهم إلى قضية أخلاقية وهي الصدق وخروج الشاعر عنه من خلال الادعاء والإكثار في القول أكثر من الفعل؛ وهذا بعد خروجا عن القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الشخص بشكل عام والشاعر على وجه الخصوص» **(سعيد وحنون،٢٠١٩ :٣٤٥)** لذا تعد قضية المعاني والألفاظ الخارجية التي تجود بها قريحة واللسن العرب وتحفظها

وتستسيغها عقولهم من الأمر البالغة التعقيد كم أن الضبط الأساس فيها هي «مسألة ارتباط الشعر بالأخلاق مسألة قديمة وقف عندها النقاد بين مؤيد له وبين معارض» **(سعد،وحنون،٢٠١٩: ٣٤٧)**

ج- الرموز أو الكلمات: ولقد فهم العرب قديما علم العلامة ولكنهم عرفوه كأجراء تطبيقي دون تسميته فهم ميزوا بين اللفظ ودلالاتها الكثيرة وعدوا ذلك من كوامن وأسرار قوتهم البديهية في الخلق والابتكار للمعاني والألفاظ على أن قضية الدلالة وتناولها تحت عنوان (معنى المعني) وفي أطار النصوص التي تنتمي إلى العصر الجاهلي فقد تناولها النقاد القدامى بالتفكيك والتحليل. أن وظيفة المفاهيم والأفكار في عملية تسليط الضوء على الواقع وتنظيمه، فالأفكار ولمفاهيم إشارات ورموز تمنح وتمكن بني الأنسان التدبر والتحكم والامتلاك، وهي وسائل وأدوات تجعل بني البشر قادرين على التمكن من الكون بفهمه وتحليله وتفكيكه. وفي أطار هذه الأهمية الكبيرة للمفاهيم عمد المفكرون منذ الوهلة الأولى للتاريخ على صقل وأبداع وإنتاج الكثير من الدلالات التي دفعته الحاجة غلى ابتداعها إلى جانب المواقع الأصلية لمدلولاتها المعنوية واللغوية التي تُوصل بها إلى الدلالة النسقية نفسها المراد منها لمواجهة التحديات الفكري والمعرفية سبيلا إلى امتلاك الكون وفق النحو العقلي والمنطلقي«ومهما يكن من شيء، فدراسة الدلالة قد تخدم النواحي الاجتماعية في كثير من مظاهرها وهذه الدراسة التي يعدها الأوروبيون حديثة، هي في الحقيقة من المحاولات القديمة التي وضع علماؤنا من العرب اللبنة الأولى فيها. ولو قد أتيحت لها فرص النمو والازدهار لوجدنا بين أيدينا الآن فيما يتعلق بألفاظ اللغة العربية بحوثاً علمية كاملة النمو واضحة المعالم. غير أن المحاولة الأولى لبعض علماء العربية قد أصابها في العصور المتأخرة ما يشبه النكسة. وظلت جهود العلماء المتقدمين تتردد كما هي في كتب المتأخرين دون فهم صحيح لها في غالب الأحيان ومن المعروف لدى الدارسين هدف المتقدمين من الدراسة اللغوية كان مقصوراً في بادئ الأمر على خدمة الدين» **(الرازي،١٩٩٤: ١٠)** ومما سبق نستنتج أن «أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة وتكاد تجمع المعاجم العربية على أن الألفاظ ترادف الكلمات في الاستعمال الشائع المألوف فلا فرق بأن يقال أحصينا الفاظ اللغة أو كلمات اللغة»**(أنيس،١٩٧٦: ٣٨)**«من أمثلة الرمز كذلك: حمرة الوجه الدالة على الخجل، والتصفيق علامة الاستحسان، وعلامات الترقيم، ورسم فتاة مغمضة تمسك ميزانا كرمز للعدالة، ووضع شركة وسكينة بصورة متقاطعة في القطار للدلالة على وجود مطعم فيه.. وغير ذلك» **(مختار،١٩٨٥: ١١)**

١-١٧**الأخلاق لغة:** وقال الفيروزآبادى: "الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين» **(الفيروزآبادي،٢٠٠٨: مادة خ. ل. ق)** جاء في كتاب العين: «الخليقة: الخلق والخليقة: الطبيعة» **(الفراهيدي،١٩٨٠: مادة خ. ل. ق)** وقال تعالى في محكم كتابة الكريم ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ **(القلم آية:٤)** «الخُلُقُ بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته: أنه لصورة الأنسان الباطنة ومعانيها» **(ابن منظورج١٠، ١٩٥٦: مادة خ.ل. ق)**

١-١٨**الأخلاق في الاصطلاح:** لقد قامت الشخصية العربية بصورة عامة على صفات إنسانية عالية منها الصدق والشهامة والأخلاق مما انعكس ذلك في النصوص الشعرية الجاهلية ولقد تناول النقاد القدامى في العصر الجاهلي موضوعة الأخلاق وإشكالياتها في الشعر وتنبهوا إلى أن القول في الشعر من جانب الخير مضعف له أي الشعر نفسه «أنصار حتمية العلاقة بين الشعر والأخلاق، لعل من أوائل من تنبه إلى أن الشعر يضعف ويلين في باب الخير، ويشتد ويقوى في باب الشر هو الأصمعي»**(زيناي،٢٠٢٠: ٩٥)** ومن الجدير بالذكر وجود التفاوت في الشعر العربي «ولم يكن الشعر في درجة واحدة من القوة والحسن ، تضمنه ما هو حلو مستعذب ، ومنه ما هو غث مستكره ، ولهذا أولع النقاد العرب بجمال التعبيره واصابة المعنى ، وميزوا جيد الكلام من رديئه ، وحاولوا أن يدفعوا الشعراء إلى أن يرتقوا بلغة الشعر ويهذبوها ، وينقحوها فانتقصوا ماغث ورذل منه ،وحبذوا ما حسن وفخم، وجهدوا فى إبراز عيوب الشعر المتصلة بالصياغة أو الأعراب وأدركوا حاجة الشاعر إلى الألمام بالأوزان الشعرية ، ليكون شعره سليم الوزن وعرفوا أن الشعراء قديما وحديثا لا يخلو شعرهم من بعض تلك العيوب المتصلة به ، فحاولوا جاهدين تخليصه منها» **(الحارثي،١٩٧٦: ٦٥)** فهم وضعوا أسس تطبيقية للعملية النقدية تعلو فيها النصوص بعلو أخلاق صاحبها ولغته التخاطبية في المدح والهجاء ورثاء والغزل لكنهم رغم ذلك لم يغبنوا حق الشعر بذاته مهما كانت أغراضه او كونهم لا يعجب ذوقهم الأخلاقي كدلالة متداولة «تدور الدلالة في هذه الماد ة حول محورين، الأول يتصل بنقد الدراهم، لتمييز جيدها من رديئها، والثاني يتصل بذم الآخرين وعيبهم. والمعنيان قريبان»**(الكواز،٢٠٠٦: ٤٦)** فالنقد في أول صوره كان يعني الموازنة بين عملين أدبيين وتفضل احدهما على الأخر«ومَدَارَاتُ الخِلَافِ بَيْنَ النقَادِ القُدَامَى حَوْلَ العَلَاقَةِ بِيْنَ الشِّعْرِ وَالْأَخْلَاقِ: إنَّ المتتبع للتاريخ الأدبي والنقدي عند العرب يلمح أنهم قد أولوا اهتماما لضرورة تعلق الشعر بالقيم

الأخلاقية المختلفة، وذلك منذ العصر الجاهلي» (**زيناي،٢٠٢٠: ٤٦**)يضاف على ما تقدم «فالطبع والأخلاق، ومعرفة أخلاق الشاعر وطباعه، تسهم إسهاماً كبيراً في كشف حقيقة العوامل التي تتدافع وتتوالد، وراء ما يسفر وينجلي من معان واضحة في القصيدة. فالطبع هو الذي يؤدي إلى تنازع الشاعر مع المؤثرات الخارجية» **(الحاوي ج١ ،١٩٨٦ :٥٥)** مما يخلق لدى الشاعر سمات الحب والبغض والعلامات المجتمعية مثل الخيانة والصدق والوفاء.... الخ «أن تحقيق ما يشخص فيه من ميول ونوازع، يولد في النفس غبطة الانتصار، كما أن تعذر ميوله ورغباته يذكي في النفس الشعور بالبؤس والاسوداد، ويوري فيها ذلك التوتر الحي الذي تتولد منه الرؤى والصور الشعرية. ذلك أن الطبع هو الذي يواجه الحقائق الإنسانية العامة اللامبالية ويحولها إلى صعوبة ومعاناة في النفس. فالخير، مثلا، بحد ذاته، هو فكرة لامبالية، تفهم بالذهن، لا يشخص فيها ظلال شعورية ولا ذهول. ولكن هذه الفكرة اللامبالية، قد تؤدي إلى تفجير ذات الشاعر بالصور الجميلة الخالدة، عندما يحاول أن يكون خيراً، ويتولد النزاع في نفسه بين طبعه الذي يميل إلى الشر وعقله الذي يدفعه إلى تحقيق مثل الخير وهكذا، فان طبيعة النفس كثيرة الأهمية في توليد التجربة الشعرية، لأنها هي التي تقرر قيمة المؤثرات الخارجية، وهي التي تصطرع معها وتذكي في وجدان الشاعر حالة اللبس والغموض التي تشحذ الذهول الشعري» **(الحاوي ج١ ،١٩٨٦:٥٥)**لقد مثلت البلاغة والفلسفة بأشكالها سمتا بارزتا في الفكر اليوناني القديم وما شاع عنهم كثرت تمجيدهم بآلهتهم ونسج القصص والخفايا عنها فقد شاع عن العرب تعلقهم بالشعر وخصوصا الغزل ودلالته وكثرة ذكر المرأة كعشيقة «أن الأدب الذي يعبر عن موضوع المرأة، أو يكون موضوعه هو المرأة ويحمل سمات خاصة بالأنثى أو موقفها فأنه يسمى أدباً أنثويا» **(ميرزائي،٢٠٢١: ٤٥٠)** فقد كثر في الشعر الجاهلي التغني بالمرأة وذكر محاسنها وطلب الوصول إلى قلبها وهو شعور وجداني تمظهر بالذكر الصريح لها أو عبر الإيحاءات وهو ما ميز النص الشعري الجاهلي «عندما يدرس الباحث قوام الإيحاء في الشّعر يجد أنَّ العقل والعاطفة يتركان أثرهما واضحاً في نفس المبدع، لأنه كما يبدو من جوانبه تعبير عن حالة عقلية ووجدانية وعن شعور نفسيّ وجاني وفكري فيآن واحد» **(الخرابشة،٢٠١٨: ١٣)** أن أجمل النصوص الشعرية الجاهلية هي التي تغنت بالأنثى «وكثيرا ما ألهم الشعراء ذكرُ المرأة الإبداع في القول ورقة العواطف، فكانوا يذكرونها في حروبهم، كما قال عنترة:

ولقد ذكرتُكِ والرِّماح نواهل مني وبِيضُ الهِنْدِ تقطرُ مِن دَمِي

فوَدِدْتُ تَقْبِيل السيوف لأنها لمَعَت كَبَارِقِ ثَغْرِكِ المتبسم

وكانوا يفتخرون بشجاعتهم أمام المرأة؛ لأن المرأة كانت تحب الشجاع وتفخر به، كما ذكر بشر بن عوانة في أول قصيدته الشهيرة

أفاطِمُ لو شَهِدَتِ بِبَطْن خبت وقد لاقى الهزبرُ أَخَاكِ بشرا

إذن لرَأَيْتِ لَيْثا أَمْ لَيْثا هزبرًا أغلبا لاقى هزبرًا» **(ضيف،٢٠١٧: ٣٩)**

من اللافت للانتباه أن تلك النصوص الشعرية ظلت محافظة على الأخلاق والقيم في التعامل مع المرأة عندما تكون غرضا لقصيدة الشاعر.

٢-**تمظهر أخلاق النقد عند العرب قديما:**ولد النقد عند العرب متزامنا مع ولادة الشعر أو بعده بفترة قليلة حينما تفاخر الفحول فيما بينهم في ميادين الوغى أو ميادين القول؛ مما جعل من نشوء النقد ضرورة ملحة لاستمرار وديمومة الشعر «وفي هذا الإطار يمكن القول: إن الشاعر نفسه يسمى: ناقداً، لكنه ينقد الحياة، وينقد ما يتناوله من محيطه لغةً ومشاهد وأفكاراً وصوراً، يحذف منها ما يشاء، ويصطفي ما يبتغي، وفي الحذف والاصطفاء تكمن حقيقة النقد أو جوهره. هذا الموقف يسمّى موقفاً نقدياً، لكنه نقدي من جهة موقف الشاعر من الحياة كلها في ضوء رؤيته الكونية والعقلية ومذهبه الأدبي، فيأتي تناوله لها متأثراً بها؛ ذلك أن النص الإبداعي هو حصيلة تفاعل بين المبدع والحياة، وتقدم أن للنقد الأدبي موقف من النص الأدبي، ونقد الحياة مسألة أخرى. إذاً فالنقد الأدبي تابع للنص الأدبي والنص الأدبي أسبق في الوجود من النص النقدي»**(نتوف،٢٠١٠: ٢٢) فقد اهتم السمع العربي بأهمية أن يكون النص الشعري موافق لذوقه العام ونواميسه وأخلاقياته الخاصة.**«مَدَارَاتُ الخِلَافِ بَيْنَ النقَادِ القُدَامَى حَوْلَ العَلَاقَةِ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالأَخْلَاقِ: إن المتتبع للتاريخ الأدبي والنقدي عند العرب يلمح أنهم قد أولوا اهتماما لضرورة تعلق الشعر بالقيم الأخلاقية المختلفة، وذلك منذ العصر الجاهلي؛ لأن حضور الأخلاق في الواقع اليومي للإنسان العربي هو أمر موافق للطبيعة والفطرة الإنسانية، بحيث لا مجال لتجاهلها» **(زيناي،٢٠٢٠ :٩٤)**أن لكل بيت شعري او قصيدة وضعها الإنساني الخاص الذي فيه. «ومما قاله أمرؤ القيس:

عُوجا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لَعَلَّنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

وهو رجل من طي لم نسمع شعره الذي بكى فيه، ولا شعرا غير هذا البيت الذي ذكره أمرؤ القيس. وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهَلهلُ بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل، قتلته بنو شيبان. وكان اسم المهلهل عَدِيًّا، وإنما سمى مُهلِهلاً لهلهلة شعره كهلهلة الثوب، وهو اضطرابه واختلافه» **(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٣٩)** وكما ذكر قدامة ابن جعفر تحفظه على الشعر أن تعدى الأخلاق والذوق العام للعربي في قوله «وجدت قوما يعيبون الشعر إذا سلك الشاعر فيه هذين المسلكين فأنى رأيت من يعيب أمرؤ القيس في قوله:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهبتها عن ذي تمائم محول

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وتحتي شقها لم يحول

ويذكر أن هذا معنى فاحش وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة فى الخشب مثلا كرداءته في ذاته» **(ابن جعفر،١٣٠٢هـ:٥)** وهذا ما يؤكد أن الناقد العربي تمكن من التمييز بين الشكل والمضمون«معنى ذلك أن علينا أن نحكم على المعنى، أو نميز جيده من رديئة لا باعتباره معنى أخلاقيا، وإنما باعتباره معنا شعريا في المحل الأول» **(عصفور،١٩٩٥: ٩٧)** يضاف إلى ما تقدم «كذلك رأيت من يعيب هذا الشاعر أيضاً في سلوكه للمذهب الثاني الذي قدمته حيث استعمله باقتدار وقوة وتصرف فيه إحسانا وحذاقة وذلك قوله في موضع:

فلو أن ما أسعى لأدنى كفاني ولم اطلب قليل من المال

ولكن أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقوله في موضع آخر

فتملا بيتنا أقطا وسمنا وحسبك من غنى شبع وري

فان من عابه زعم انه من قبيل المناقضة حيث وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضى بدنى المعيشة وأطرى فى موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الأنسان بشبعه وريه ،وإذ قد ذكرت ذلك فلا باس بالرد على هذا العائب فى هذا الموضع ليكون فى ما احتج به بعد التطريق لمن يؤثر النظر فى هذا العلم إلى التمهر فيه فأقول: انه لو تصفح أولا قول امرئ القيس حق تصفحه لم يوجد معنى ناقض معنى فالمعنيان في الشعرين متفقان إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقص ما في الآخر وليس أحد ممنوعاً فسي الأتساع من المعاني التي لا تتناقض وذلك» **(ابن جعفر،١٣٠٢: ٥)** يتبين لنا من تفحص قدامة كناقد انه خبر مفهوم التجرد عند ممارسة النقد وهناك امثله كثيرة على مفهوم التجرد منها قصة النابغة الذبياني «وإذا كنا نرفض هذا الذي يضاف إلى قصة النابغة مع حسان في عكاظ، ولا نقيم عليه حكماً في النقد الأدبي في العصر الجاهلي، فإننا لا بد أن نقف وقفة ارتياب وحذر عند قصة أخرى هي قصة أم جندب يقولون إن علقمة الفحل وامرأ القيس تنازعا الشعر، وادعى كلاهما أنه أشعر من صاحبه فتحاكما إلى أم جندب الطائية زوج أمرئ القيس. فقالت لهما: قولا شعراً على روي واحد، وقافية» (إبراهيم،١٩٣٧: ٢٥) وهذه القصة دليل أخلاقي آخر على شيوع مفهوم التجرد عند الناقد الجاهلي. حينما حددت أم جندب الموضوع الذي يتباريان فيه قائلة في بيت: «واحدة تصفان فيه الخيل. ففعلا، ثم أنشداها، فقضت لعلقمة على أمرئ القيس، لأن امرأ القيس يقول:

فللسوط ألهوب، والساق درة وللزجر منه وقع اخرج منعب

ففرسه كليل بليد لم يدرك الطريدة إلا بعد أن ضرب بالسوط، وأثير بساق الراكب، وهيج بالزجر والصياح. أما فرس علقمة فنشيط لا يحتاج إلى إهاجة يسرع في عدوه إسراعاً، وينصب في السير انصباب الريح. جرى خلف الصيد ولجامه مشدود إلى وراء، منثنٍ غير مرخي:

فأدركهن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلَّب

فإن صحت هذه القصة كانت لها دلالة كبيرة في النقد الأدبي. فأم جندب تريد مقياساً دقيقاً تستند عليه في الموازنة هو وحدة الروي، ووحدة القافية، ووحدة الغرض. وهذا يكفي لأن يكون أساساً من أسس النقد في العصر الجاهل، وهذا يكفي دليلاً على أن النقد في بعض الأحيان لم يكن سليقة وفطرة بل كانت له أصول يعتمد عليها» **(إبراهيم،١٩٣٧: ٢٦)** أن تتبع تلك الحادثة النقدية يذهب بعقولنا إلى نقطة مجهولة وحفرية عميقة جداً إذ لا يمكن أن تكون تلك الأصول النقدية سنن متوارثة بل قد تكون أسس شفوية متنقلة عبر نسقية

الزمكان تتمظهر عند أناس محددين عبر سلسلة يحكمها التوارث او الفطنة.**النقد في اللغة:** قال ابن فارس: «النون والقاف والدال أصل صحيح ومن ذلك النقد في الحاضر وهو قشرة والنقد في **الضرَّس** تكسره، وذلك يكون بتكشَّف لِيطه عنه ومن الباب نقد الدراهم، وذلك أن يكشَف عن حالة في جودته أو غير ذلك ووهم نقد وازِنُ جيد، كأنَّه قد كشف عن حاله فعلم» **(أبن فارس،١٩٧٩:مادة ن .ق .د)** «ونقد الدراهم، أي: أخرج منها الزيف، وناقدان فلاناً إذا ناقشتهُ بالأمر» وقال الأصمعي: «أجْوَدُ الصُّوفِ صوفْ النقَد» **(ابن منظورج١٤، ١٩٩٩:مادة ن. ق .د)** «المكان من المفاهيم التي أثبتت حيويتها وحضورها الفاعل في توجيه النص الأدبي وإغنائه وتأصيله» **(نعاس،٢٠١٤: ١٣٥)**

٢-١النقد في الاصطلاح: هناك فرق بين مصطلحي النقد والنقد الأدبي فالنقد الأدبي أكثر تخصص من النقد وهو ما يعنى بالدراسات الأدبية من النقد بشقيه الشعر والنثر «النقد الأدبي مصطلح (النقد الأدبي) جديد على الساحة العربية، لم تعرفه لغتنا إلا في العصر الحديث بعد الاتصال بالغرب هو ترجمة حرفية للمصطلح الغربي «literary criticism» الذي يعني مجموعة الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض، وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه، في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد» **(الكواز،٢٠٠٦: ٥٧) فكل عمل نقدي يقوم على الأسس الجمالية والفنية للنصوص والخطابات**«وقلما تفطن الناقد أن التجربة الفنية هي تجربة ماورائية ،بمعنى أنها ترد كنتيجة واضحة لمعاناة صماء ،متآكلة تبذل ذاتها دون أن تعيها وان تفهمها فالشاعر يعبر بالمعاناة والرؤيا حين تقدر له والناقد يستنبطهما ويتقصى فيهما ويجلو ضميرهما المكتوم والمختفي ،يكمل أحهما الآخر وأن كانت التجربة الإبداعية أعسر منالا ومن هذا القبيل فأن النقد يسير سيراً عكسيا متناقضاً يتحرى عن الكينونة ويعبر في مراحل التكوين ويستقطب طبائع الأسلوب الخفية التي تؤثر في التجربة وفي تجسيدها ويفسر الظواهر الصامتة بأبعادها النفسية والوجودية»**(الحاوي ج١ ،١٩٨٦: ٦)** يضاف إلى ذلك يعد النقد ضرورة ملحة للاستمرار في انتاج الأعمال الأدبية بمختلف مسمياتها «ويعجبني قول التبريزي لما سمع الشاعر الذي قيل إنه جاهلي يقول: دق حتى دق فيه الأجل إلخ إنه معنى يدق عن الذوق الجاهلي، فهو شعر منحول منسوب إلى تأبط شرا» **(أمين،٢٠٠١: ٣٦٠)** فقد عكف النقاد القدامى إلى التنبه لأهم مسألة يمكن من خلالها أن ينموا ويتقدم النقد وهي وجوب التعريف بأخلاقية الناقد وذوقه الأدبي «هذه الشواهد تدل على وجود صور من صور النقد الأدبي في العصر الجاهلي. على أن هناك ما لعله أعمق في تلك الشواهد وأبلغ في الدلالة على وجود هذا النقد. فقد نستطيع أن نقول إن الشعر في أواخر العصر الجاهلي كاد يكون فناً يدرس ويتلقى وتوجد فيه مذاهب أدبية مختلفة» **(إبراهيم،١٩٣٧: ٢١)** أي أنه أصبح فناً له صورته المعلومة ولو تطبيقاً من خلال التجريب والممارسة «ولو نطرنا إلى الآداب العالمية، أو بالأحرى إلى كيفية نشوء الأنواع الأدبية، فأننا نتحقق أن طبيعة النوع الأدبي تكون غالباً، انعكاساً لطبيعة الواقع والبيئة. فالملحمة هي تعبير عن واقع الشعوب البدائية التي تتمثل مثلها الأعلى بالبطولة الحربية والمآتي العظمى. ولا تكاد تظهر المسرحية ألا عند استقرار الشعب وأدركه معاني الحضارة ما لم يكن يدركه في بدواته المسرفة» **(الحاوي ج١ ،١٩٨٦: ٧٨)** يضاف إلى ما تقدم أن «من أهم حاجاتنا وأنبلها وأقدسها حاجة التعبير عن النفس. بل هي الحاجة الأهم والأنبل والأقدس على الإطلاق، لولا شعورنا بها لما شعرنا بوجودنا ولما عرفنا شيئا. عن أنفسنا وعن الكون الذي نحن منه وفيه. وهي حاجة في طبيعة الحياة التي منها حياتنا قبل أن تكون حاجة في طبيعتنا. أوليست حياتنا على صورة الحياة الأم ومثالها؟ فهذه الكائنات التي لأعدادها، ولأشكالها وألوانها ليست سوى تعبير الحياة عن ذاتها لذاتها. ولولاها لكانت الحياة عدماً لا يُحِس ولا يُحسَ، ولا يعرف ولا يُعرف. والتعبير عن النفس ليس حاجة في الإنسان وحده، بل في كل ذرة وكل جسد من الذرات والأجساد التي يتألف منها الكون، منظوره وغير منظوره، عاقله وغير عاقله تنوعت الأساليب والمظاهر، أما الحاجة فواحدة. هكذا تعبر الشمس عن ذاتها بحركتها وبما تبثه في الفضاء من حرارة ونور. والزهرة بما تنشره في الهواء من أريج. والشجرة بما تتفتق عنه من ساق وفروع، وأغصان وأزهار، وأوراق وأثمار» **(نعيمة،١٩٩٠: ٣٦)** من هذا نستنتج أن الأنسان العربي فيما عرف بالعصر الجاهلي قد كان بأمس الحاجة إلى تلك الممارسة الوجدانية التي يعبر من خلالها عن ذاته وأبناء سنخه وعن رحلاته وراحلته «وإذن فمهمة الأدب هي التعبير عن الإنسان وكل حاجاته وحالاته تعبيراً جميلاً، صادقاً من شأنه أن يساعد الإنسان على تفهم نفسه وتفهم الغاية من وجوده، وأن يمهد له الطريق إلى غايته. وإذن فللأدب رسالة سامية. وكل من أنكر على الأدب رسالته كان مارقاً من الأدب» **(نعيمة،١٩٩٠: ٤٥)**

٢-١-١حقيقة النقد:

لقد تعددت صور النقد وكثر النقاد في العصر الجاهلي منهم ما وصلنا وأخرين انقطعت عنا أخبار نقدهم للنصوص الجاهلية. لكن الحقيقة الراسخة أن النقودات الجاهلية ما خلد منها ووصلنا بالتتابع جيلاً بعد جيل ما كان ملتزما بمبدأ الأخلاق في الممارسات النقدية «والنقد، في حقيقته، تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى للفن عامة، أو إلى الأدب خاصة، يبدأ بالتذوق أي القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقويم، وهي خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، وهي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجاً واضحاً، مبنياً على قواعد جزئية أو عامة، مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز، ومثل هذا المنهج لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفوياً، إذ الاتجاه الشفوي لا يمكن من الفحص والتأمل ، وإن سمح بقسط من التذوق والتأثر، ولهذا تأخر النقد المنظم حتى ظهرت قواعد التأليف الذي يهيئ المجال للفحص والتقليب والنظر»**(الكواز،٢٠٠٦: ٥٤)** أن عنصر الأخلاقي في النقد القديم من اهم متطلبات العملية النقدية النافعة والمنهجية المتجردة. فمن صور «النقد وهو الحكم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليها في الجودة بالموازنة بغيرها، فقالوا: إن قصيدة سويد بن أبي كاهل التي مطلعها:

بسطت رابعة الحبل لنا فوصل الحبل منها ما انقطع

من خير القصائد وسموها اليتيمة وقالوا في قصيدة حسان

لله در عصابة نادمتهم يوما بخلق في الزمان الأول

بأنها من خير القصائد ودعوها البتارة. ومن هذا النوع اختيارهم القصائد المشهورة التي سموها المعلقات إن صحت هذه الرواية. وبهذا لم يكن النقد مبنيا على قواعد فنية، ولا على ذوق منظم ناضج، إنما هو لمحة الخاطر والبديهة الحاضرة» **(أمين،٢٠٠١: ٣٥٩)** كان ينطلق من مخيلة الشاعر يرافقه مباشرتاً عملية المراجعة والتمحيص من قبل الشاعر وهو ما عرف لاحقا بالنقد «أما الذي يرجح شاعرا عن آخر في عملية الموازنة هو أن يكون قد استطاع تصوير مالم يعتمده من الأشياء، بعكس الآخر الذي لم يستطع الوصول إلى مثل هذه الدرجة من الدقة في التصوير ،على الرغم من آلفة هذه الأشياء» **(المجالي،١٩٩٢: ٥٤)** أي أن الأشياء المميزة الموجودة في الشعر المرجح على الآخر موجودة في البيئة والمحيط الشعريين إلا أن احدهما وصل اليها والآخر لم تسعفه ملكته الشعرية من الوصول إليها ،وقد يستغرق بعضهم سنة كاملة للمراجعة مما عُرفَ باسم الحوليات وكان على رأسهم زهير ابن أبي سلمى المزني.

٢-١-٢بلاغة الناقد العربي قديماً:لقد تمييز الناقد العربي في العصر الجاهلي بصياغته للعبارات والجمل في ثنيا النصوص الشعرية بالبلاغة «والبلاغة إما أن تكون عبارة عن إظهار ما يجول في نفس الإنسان من أحاسيس وخيالات وغيرها مما يدل على شخصية الكاتب أو المتكلم فحسب، وإما أن تكون صورة غير صورة نفس الكاتب أو الشاعر أي صورة من الحياة العامة للإنسان. أو جزءًا من تاريخ الإنسانية، كما يقولون – فالأولى هي البلاغة الوجدانية والثانية هي البلاغة الاجتماعية» **(ضيف،٢٠١٧: ٣٠)**ر غم أن الشاعر العربي في العصر الجاهلي لم يكن يسير في نظمه القصائد على نصوص وقواعد مكتوبة في اللغة والصرف الا انه كان يدرك ذلك بفطرته موضع القبح والحسن في النظم للنصوص والخطابات «فلم يكن الجاهلي يعرف جمع التصحيح وجمع ا التكسير، وجموع الكثرة وجموع القلة، ولم يكن له ذهن علمي يفرق بين هذه الأشياء كما فرق بينها ذهن الخليل وسيبويه ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرف الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ، وألم بشيء من المنطق» **(إبراهيم،١٩٣٧: ٢٤)**إضافة إلى ما تقدم فأن متممات العملية النقدية الناجعة معرفة الناقد الجاهلي بعيوب الشعر واللغة «وذكر عيوب الهجاء) كما أن معرفة رداءة المدح كانت سهلة جيدة فكذلك عيب الهجاء يسهل الطريق إلى العلم به ما تقدم في باب نعته وجماع القول فيه انه سلب المهجو أمورا لا تجانس الفضائل النفسانية كان ذلك عيبها في الهجاء مثل أن ينسب إلى انه قبيح الوجه أو صغير الحجم أو ضئيل الجسم أو مقتر أو معسر أو من قوم ليسوا بإشراف اذا كانت أفعاله في نفسه جميلة وخصاله كريمة نبيلة أو أن يكور أبواه مخطئين اذا كان مصيبا وغويين اذا وجد رشيدا سديدا أو بقلة السخاء اذا كان كريما وعدم النضار اذا كان راجعا شهما فلست أرى ذلك هجاء جاريا على الحق . ومما يدل على ذلك بعد القياس الصحيح والنظر الصريح أشعار وأقوال اعداها» **(ابن جعفر،١٣٠٢: ٧٣)** يضاف إلى ذلك «تكون العبارة أمتع وتكون الكتابة أبقى وأخلد؛ لأن البلاغة التي تنالُ من كل نفس هي التي تبقى والأفكار التي تجد لها عند كل إنسان أذنا واعية لا تبلى، وذلك لا يكون إلا إذا صادفت شيئًا عاما ينزل من كل نفس، ويصح أن يقبله كل فكر، ولا يثقل على الطبائع. وهذا هو سبب ارتياح النفوس للحكم والمواعظ لأنها تنَالُ من كل نفس وتتسرب إلى كل فؤاد، وهو السر في رأي من فضّل أشعار الحكمة في مثل قول النابغة الذبياني:

ولستَ بِمُستَبْقِ أَذًا لَا تَلُمه وا شَعَثِ أَيُّ الرجال المهذب» **(ضيف،٢٠١٧: ٣٠)**

لقد استُعذبت أشعار النابغة الذبياني كونها تتماشى والفطرة العربية المائلة للفضائل والأخلاق الحميدة.

م٢-١-٢-١فهوم النقد الأدبي

أن النقد الأدبي مصطلح مكون من متلازمتين الأدب وهو تراث الأمم والشعوب الثقافي والفكري والنقد وهو ما يجري من تشذيب ومراجعة لذلك التراث وكما جاء في حديث أبي الدرداء: «إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك، أي إن عبتهم. وتستعمل أيضًا بمعنى أوسع، وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبيح. وهذا يتفق مع اشتقاق الكلمة، فإن أصلها من نقد الدراهم لمعرفة جيدها من رديئها. فمعنى النقد هنا استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها، ثم قصرت على العيب لما كان من مستلزمات فحص الصفات ونقدها عيب بعضها، وهو بهذا المعنى ضد التقريظ فالتقريظ مدح الشيء أو الشخص والثناء عليه، مأخوذ من قرظ الجلد، إذا بالغ في دباغته بالقرظ، وبهذا المعنى يستعمله بعض الكتاب المحدثين، فيقولون في المجلات باب النقد والتقريظ يريدون بذلك ذكر المساوئ والمحاسن»**(أمين،٢٠٠١: ١٣)**كذلك«استعملت اللغة العربية لفظ النقد لمعان مختلفة : الأول : تمييز الجيد من الرديء ، قالوا : نقدت الدراهم وانتقدتها : أخرجت منها الزيف وميزت جيدها من رديئها ، ومنه : التنقاد والانتقاد وهو تمييز الدراهم وإخراج الزائف منها .والثاني : العيب والانتقاص ، قالت العرب: نقدته الحية إذا لدغته ،و نقدت رأسه بأصبعي إذا ضربته ، ونقدت الجوزة أنقدها إذا ضربتها .وفي حديث أبي الدرداء : إن نقدت الناس نقدوك ، ومعناه : إن عبتهم وجرحتهم قابلوك بمثل صنعك» **(ابن جعفر،١٣٠٢: ١٢)**ويعد الرواة الأوائل للشعر والأدب هم النقاد الأوائل كونهم مارسوا عملية النقد بشكل عملي «وهذه بعض مواقف ابن سلام المتعددة التي تظهر فيها شخصيته النقدية المتميزة. ومن عبارات ابن سلام التي تتكرر كثيرا ويظهر فيها اتكاؤه ر آراء العلماء، قوله: «أخبرني فلان»، و«قال من احتج لفلان، وه قال أهل النظر، وه أجمع الناس على شاعرية فلان. أما ابن قتيبة فلا يختلف كثيرا عن ابن سلام، وقد استند إلى آراء العلماء إلى الدرجة التي جعلت عبد الحميد الجندي يأخذ عليه كثرة اعتماده على آراء غيره» **(المجالي،١٩٩٢: ١٠٩)** يضاف إلى ذلك «فكلمة النقد، كما تنبئنا المعاجم العربية مأخوذة في الأصل من نقد الصيرفي الدراهم والدنانير وانتقدها، أي ميز صحيحها من زائفها وجيدها من رديئها. ومن معانيها أيضاً النقاش، يقال ناقد فلان فلاناً في الأمر، إذا ناقشه فيه ومن هذا المعنى الأصلي للكلمة جاء معنى النقد في الأدب. ذلك لأن ما يفعله الناقد من محاولة التمييز بين جيد الكلام ورديئه، ليس إلا من جنس ما يفعله الصيرفي، في نقد الدراهم والدنانير والنقد في ذاته قديم قدم الإنسان الذي خلق نزاعاً إلى الكمال، ومن ثم منقاداً بطبعه إلى إدراك ما في الأشياء من وجوه كمال يستريح إليها ووجوه نقص يسعى إلى كمالها» **(عتيق،١٩٧٢: ٨).ومما سبق ذكره يتبين لنا** «أن النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة أو إلى الشعر خاصة يبدأ بالتذوق ، أي القدرة على التمييز ، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم – خطوات لا تغني إحداها عن ، وهي متدرجة على هذا النسق ؛ كي يتخذ الموقف نهجاً واضحاً موصلاً على قواعد – جزئية أو عامة – مؤيداً بقوة المالكة بعد قوة التمييز ؛ ومثل هذا المنهج لا يمكن أن يتحقق حين يكون أكثر تراث الأمة شفوياً إذ الاتجاه الشفوي لا يمكن من الفحص والتأمل ، وإن بقسط التذوق والتأثر ، ولهذا تأخر النقد المنظم حتى تأثلت قواعد التأليف الذي يهيئ المجال للفحص والتقليب والنظر»**(عباس،١٩٧١: ١٤)**

٢-١-٢-٢عايير النقد الأدبي الجاهلي: لقد عمد النقاد القدامى غلى معايير محددة لعملية النقد وتمييز الأعمال الأدبية وتفضيل أحدها على الآخر «قال المسيو موريس كروازيه في مقدمة الجزء الأول من كتاب تاريخ الأدب اليوناني إن جملة لخطيب، أو بيت شعر ! لشاعر أشبه بمرآة ينعكس فيها صورة منها، تدل على ماضي اللغة والتاريخ لشعب من الشعوب، وتدل على الغني الذي وهبها هذا الشكل؛ كل هذا يُرى في الكتابات من شعر ونثر» **(ضيف،٢٠١٧: ١٩)** وهذا ما كلن فعلا عند دراستنا للأدب العربي في العصر الجاهلي فأننا نتلمس أحوالهم وأخلاقهم وكل ما يتعلق بوجودهم الزمكاني «واستخلص من هذا الفهم أن

(أ) الفكرة تكون نثراً أولا ثم تترجم شعراً.

(ب) في ترجمتها شعراً تتحول الصورة النثرية إلى صورة شعرية.

(ج)يصنع كل بيت على حدة، مستقلا بأحد المعاني، ثم يترك جانباً حتى يفرغ الشاعر من نقل كل المعاني.

(د)لا تكون هذه الأبيات متصلة حتما، فيصل الشاعر بينها بأبيات أخرى تشد بعضها إلى بعض» **(إسماعيل،١٩٩٢: ١٨٥)**

«إذا اتضح للشاعر بعد ذلك جانب ضعيف فإنه يرمه، ويبدل بألفاظ الفاظاً أوقع. (و) قد يأخذ قافية أحد الأبيات ليضعها لبيت آخر وإن كان معناه ضد معنى البيت الذي كانت فيه أولا، إذا وجد أن موقعها في البيت الثاني أحين، ثم يبحث للبيت الأول عن قافية. هكذا كانت تفهم صناعة الشعر، وهو فهم – كما رأينا – يقوم على العناية بالشكل دون المحتوى. وبهذا الشكل يكون التفاضل، ولعمل الشكل الجميل طريقة خاصة هي التي وصفها ابن طباطبا. ويكفينا في هذه الطريقة لحم الأبيات المفردة بعضها ببعض ونزع قوافي بعض الأبيات وتأليف أبيات لها تركب عليها، حتى تعرف إلى أي مدى كانت عناية الشاعر بصناعة الشكل» **(إسماعيل،١٩٩٢: ١٨٦)**«إننا لا نجد ناقدا توفيقيا قبل ابن قتيبة غير الجاحظ، الذي رفض تفضيل أو للحاجة إلى الشاهد اللغوي، فكان نقده يرتكز على النظر للصورة الأدبية. وقد دافع عن المحدثين بجرأة أعلنها في قوله: (والقضية التي لا احتشم فيها ولا أهاب الخصومة منها: أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى، من المولدة والنابتة» **(المجالي،١٩٩٢: ١١٦)** ومن الجدير بالذكر فقد «كانت تهتم بإعداد هذا الشاعر اهتمامها بإعداد القائد والخطيب، فيقال: قائد القبيلة الفلانية فلان، وخطيبها فلان، وشاعرها فلان. وسبب ذلك أنهم كانوا ينظرون إلى الشعراء على أنهم حماة الأعراض، وحفظة الآثار، كذلك كانوا يوسطونهم في الاسترضاء أو الاستعطاف، أو يتخذون منهم. وسيلة لإشعال الحماس وإثارة الحرب، وبهذا يكون الشاعر لسان حال القبيلة الناطق باسمها والمعبر عن كل أغراضها واهتماماتها في جميع الأحوال. وما أشبه دوره في تلك العصور السحيقة القدم بدور الصحف اليومية الرسمية التي تنطق باسم الحكومات في العصر الحاضر. ولم يكمن اهتمامهم بالشاعر وتقديمهم له من أجل ذلك فحسب، ولكن لأنهم كانوا أيضاً يجدون الشعر نفسه، لما كان له من الوقع الحسن في نفوسهم» **(عتيق،١٩٧٢: ١٨)**

٢-١-٢-٣الناقد الحاذق:قد كان النقاد كثر في العصر الجاهلي الا أن ما وصل الينا منهم من كانوا يشار إليهم بالبنان وهم محط أنظار ومقبولية الجميع وهذا ما مر عليه قدامة ابن جعفر بقوله: «فإكرامهم للجار ما كان فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة واتباعهم الكرامة حيث كان المبالغة في الجميل ومثل ذلك قول الحكم الخضري

وأقبح من قرد وابخل بالقرى من الكلب أمسي وهو غرثان اعجف

فقد كان يجزى في الذم أن يكون هذا المهجو أبخل من الكلب ومن المبالغة في، هجائه قوله وهو غرمان العجف ومن هذا الجنس لدريد بن الصمة علي، متى ما تدريع قومك ادع قومي، فيأتي من منى جشم فنام فوارس بهمة حشدا إذا ما بدا حضر الحيية والحذام

والمبالغة الشديدة في هذا الشعر هي في قوله الحبيبة لي ومنه للحكم الخضري أيضا

فكن يا جارهم في خبر دار فلا ظلم عليك ولا جفاء

فقوله فلا ظلم عليك ولا جفاء توكيد ومبالغة ومنه قول رواش بن تميم أحد الغطاريف الأزدي» **(ابن جعفر،١٣٠٢: ٥١)**

وكما في قوله: «وانا لتعطى النصف منا وأننا لنأخذه من كل أبلخ ظالم

فهذه مبالغات مضاعفه مكررة علي ومنه قول مضرس

بهم تمترى الحرب العوان وفيهم تؤدى القروض حلوها ومريرها

فقوله ومريرها مبالغة وكذلك قول أوس بن غلفاء الهجمى

هم تركوك أسلح من حبارى رأت صقرا واشرد من نعام

ففي قوله رأت صقرا مبالغة» **(ابن جعفر،١٣٠٢: ٥١)**

ونحن هنا سنستعمل الكلمة بمعناها الواسع وهو تمييز جيد الشيء من رديئه والنقد في اصطلاح الفنيين هو تقدير القطعة الفنية، ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن، سواء كانت القطعة أدبا أو تصويرًا أو حفرًا أو موسيقى وتسمى الملكة التي يكون بها هذا التقدير الذوق وهذا الذوق ليس ملكة بسيطة. بل هي مركبة من أشياء كثيرة يرجع بعضها إلى قوة العقل وبعضها إلى قوة الشعور كما سيأتي توضيح ذلك. والغرض من دراسة النقد الأدبي معرفة القواعد التي نستطيع بها أن نحكم على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة، فإذا كانت جيدة أو رديئة فما درجتها من الحسن أو القبح، ومعرفة الوسائل التي تمكننا من تقويم ما يعرض علينا من الآثار الأدبية» **(أمين،٢٠٠١: ١٣)**

٢-١-٣النابغة الذبياني ناقداً عربياً:

يعد النابغة الذبياني من أشهر الذين وصلتنا عنهم أخبار ممارستهم للنقد والتحكيم بين الأعمال الأدبية والنصوص الشعرية «نسبه وكنيته: هو النابغة واسمه زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن ريث بن غطفان بن قيس عيلان بن مضر، ويكنى أبا أمامة قيل: إنه إنما لقب النابغة لقوله:

وحدث في بني القين بن جسر فقد نبغت لهم مِنَّا شئون

وقيل: لقب النابغة؛ لأنه كبر ولم يقل شعراء فنبغ فيه بغتة، وقيل: هو مشتق من نبغت الحمامة إذا تغنت وحكى ابن ولاد أنه يقال: نبغ الماء، ونبغ بالشعر كمادة الماء النابغ، قال ابن قتيبة في طبقات الشعراء ونبغ بالشعر بعدما احتنك وهلك قبل أن يهتر» **(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٦١)** وان هذا الراي القائل بتأخر قول النابغة للشعر ضعيف ومفند في أكثر من موضع. «ومن ذلك قول النابغة:أتاك بقول هَلْهَلِ النسج كاذب ولم يأت بالحق الذي هو ناصح» **(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٣٩)**ويروي الرواة أنه كان للعرب أسواق يجتمعون فيها ويتناشدون الأشعار ويتناقدون، فكان ذلك أيضًا عاملا اجتماعيًا في ترقيق الألفاظ وتدقيق المعاني وترقية وعلى الأخص سوق عكاظ، ويروون عنه أن النابغة الذبياني برز في نقد الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض كما فضل الأعشى والخنساء على غيرهما من الشعراء، وعابوا هم عليه الإقواء في قوله:

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلينا غدا وبذاك حدثنا الغراب الأسود(١)

وهذا البيت بالضبط هو ما يبين أن للنقد كانت هناك ضوابط متعارف عليها «فغير شطر البيت ونبه إلى أن الإقواء معيب ويحرز عنه فيما بعد. إلى جانب ذلك ما فعلته قريش في أنها وقفت موقف المتخير الناقد تختار من كل قبيلة أحسن ما عندها من ألفاظ وأساليب وتبسط سلطان لغتها على القبائل الأخرى مكان الشعراء يشعرون بلغة قريش» **(المرزباني،١٩٩٥: ٢٩)** رغم أن الشعر الواصل لينا من العصر الجاهلي كان بلغة قريش الا أننا لا ننفي أن للهجات الأخرى كانت أشعار وقصائد الا انه تعذر علينا الوصول اليها «وقد كان النقد المروي لنا نقدًا مبنيا على الذوق الفطري فنقد طرفة بن العبد مثلا

المتلمس إذ يقول:

وقد أتناسى الهم عند احتضاره بتاج عليه الصيعرية مقدم» **(أمين،٢٠٠١: ٣٥٧)**

«أخبرني محمد بن العباس قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثني الجرُمِي، قال: قال الخليل بن أحمد: رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من بيوت، العرب الشعر – يريد الخباء – قال: فسميتُ الإقواء ما جاء من المرفوع في الشعر والمخفوض على قافية واحدة كقول النابغة: [الكامل]

عجلانَ ذا زاد وغيرَ مُزَود)

ثم قال: وبذلك خبرنا الغراب الأسود» **(المرزباني،١٩٩٥: ٢٩)** ومن الملاحظ عند تناول ابن سلام لتلك السقطات للشعراء ومنهم النابغة كان يتناولها بأخلاقية الناقد الناقل للحقيقية «وزعمت العرب أنه كان يدعى في شعره، ويتكثر في قوله بأكثر من فعله. وكان شعراء الجاهلية في ربيعة: أولهم المهلهل والمرقشان، وسعد بن مالك، وطرفة بن العبد، وعمرو بن قميئة، والحارث بن حلزة، والمتلمس) والأعشى، والمسيب بن علس. ثم تحول الشعر في قيس، فمنهم: النابغة الذبياني – وهم يعدون زهير بن أبي سلمى من عبد الله بن غطفان، وابنه كعباً – ولبيد، والنابغة الجندي، والخطيئة. والشماخ، وأخوه) مزرد، وخدَاش بن زهير، ثم آل ذلك إلى تميم، فلم يزل فيهم إلى اليوم» **(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٣٩)** إضافة إلى ما تقدم «قال ابن سلام: أخبرني أبو عبيدة أن ابن داوود بن متمم بن نويرة، قدم البصرة في بعض ما يقدم له البدوي من الجلب والميرة، فنزل فأتيته أنا وابن نُوح المطاردي فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته وكفيناه صنعته، ولما نقد شعر أبيه، جعل يزيد في الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام منكم، وإذا هو يحتذى على كلامه، فيذكر المواضع التي ذكرها متمم، والوقائع التي شهدها. فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله» **(المصدرنفسه:٤٧-٤٨)** فقد كان الشعراء والنقاد يتلقفون أشعار النابغة الذبياني بسرعة كونها شوهد عن الحكمة «وهذا هو سبب ارتياح النفوس للحكم والمواعظ لأنها تنال من كل نفس وتتسرب إلى كل فؤاد، وهو السر في رأي من فضَّل أشعار الحكمة في مثل قول النابغة الذبياني

ولست بمُستَبْق أخا لا تَلُمُّه على شعث أي الرجال المهذب» **(ضيف،٢٠١٧: ٣٠)**

٢-١-٣-١منزلته الشعري

«هو أحد فحول أهل الجاهلية عده ابن سلام في الطبقة الأولى، وقرنه بامرئ القيس والأعلى وزهير وتقدم الخلاف في أيهم أشعر وهو أحد الأشراف الذين غض الشعر منهم، وهو أحسنهم ديباجة شعر، وأكثرهم رونق كلام، وأجزلهم بينا كأن شعره كلام ليس فيه تكلف. قال الأصمعي: سألت بشارًا عن أشعر الناس؟ فقال: أجمع أهل البصرة على تقدم امرئ القيس وطرفة، وأهل الكوفة على بشر بن أبي خازم والأعشى وأهل الحجاز على النابغة وزهير، وأهل الشام على جرير والفرزدق والأخطل، وتقدم ما فيه بعض مخالفة لما هنا بحسب اختلاف الآراء» **(الجمحي،١٣٠٢: ٦١-٦١)** لقد كان النابغة الذبياني مثالا يحتذى به للناقد الحاذق وكانت لديه معظم متطلبات النقد «فملكة النقد عند الجاهليين هو الذوق الفني المحض. فأما الفكر وما يتبعث عنه من التحليل والاستنباط فذلك شيء غير موجود عندهم، وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي وعن طبيعة العصر الجاهلي ما يضيفه بعض الرواة إلى قصة النابغة مع حسان في عكاظ. من الجائز أن يغضب حسان من ذلك الحكم، وأن يظن أن النابغة جامل الخنساء، أو آثر شعراء البادية على شعراء المدن، أو شاعرة من مضر على شاعر من اليمن، أو وضع من شاعر كان يسابقه إلى المناذرة وآل غسان؛ من الجائز أن يكون شيء من ذلك، فأما أن يسأل حسان عن بيت القصيد في كلامه فيجيب بأنه:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحر وأسيافنا يقطرن من نجدة دما» **(إبراهيم،١٩٣٧: ٢٤)**

حيث كانت قوة ملاحظة النابغة لكبوات الشعراء وسقطات السنتهم بديهة بائنة عند النابغة الذبياني «فينهال النابغة أو تنهال الخنساء طعناً على البيت وتجريحاً له على النحو الوارد في بعض الكتب، فذلك ما لا يستطيع باحث جاد أن يؤمن به. عيب على حسان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار، وأن يؤلف بيته من كلمات غيرها أضخم معنى منها، وأوسع مفهوماً، ترك الجفان، والبيض، والإشراق، والجريان واستعمل الجفنات والغرّ، واللمعان والقطر، وهي دون سابقاتها فخراً، وعيب عليه غير ذلك. وتختلف القصة طولاً وقصراً، وتختلف فيها وجوه النقد، وكل ذلك تأباه طبيعة الأشياء، وكل ذلك يرفض رفضاً علمياً من عدة وجوه» **(المصدرنفيسه:٢٤)**

٢-٢نبوغة الشعري

٢-٢أول نبوغه في الشعر

«روي عن الأصمعي أنه قال: أول ما تكلم به النابغة من الشعر أنه حضر مع عمه عند رجل، وكان عمه يشاهد به الناس ويخاف أن يكون عيبا، فوضع الرجل كأسا في يده وقال:

تطيب كئوسنا لولا قذاها وتحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة وحمي! لذلك:

قذاها أن صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكَم اشتراها

وهذا يعارضه ما قيل إنما لقب النابغة لأنه كبر ولم يقل شعرًا. وروي أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: يا معشر غطفان من الذي يقول:

أتيتك عاريا خلقًا ثيابي على خوف تظن بي الظنون

قالوا: النابغة. قال: ذاك أشعر شعرائكم. وروي من وجه آخر أن عمر بن الخطاب – قال لجلسائه يومًا من أشعر الناس؟ قالوا: أنت أعلم يا أمير

المؤمنين، قال: من الذي يقول:

إلا سليمان إذا قال الإله قم في البرية فأحددها عن الفند

وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد» **(الجمحي،١٣٩-٢٣١: ٦٢)**

« فقد وازن النابغة في نفسه بين الذين أنشدوه؛ فقدم الأعشى عليهم جميعاً وثنى بالخنساء؛ وعمرو بن الحارث الغساني قدّم حساناً على النابغة وعلقمة، والذي حكم بين التميميين قدم عليهم ابن الطبيب هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة في العصر الجاهلي: الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء» **(إبراهيم،١٩٣٧: ٢٢)** أن تتبعنا لتلك الحوادث الأدبية يتعزز لدينا الموقف من وجود النقد الأدبي في العصر الجاهلي ويتكشف لنا بعض رواده وعلى راسهم النابغة الذبياني «ففي أواخر العصر الجاهلي كثرت أسواق العرب التي يجتمع فيها الناس من قبائل عدة وكثرت المجالس الأدبية التي يتذاكرون فيها الشعر، وكثر تلاقي الشعراء بأفنية الملول في الحيرة، وغان، فجعل بعضهم ينقد بعضاً وهذه الأحاديث والأحكام والمآخذ. هي نواة النقد العربي الأولى، نواة النقد التي عرفت، والتي

قيلت في شعر معروف. من ذلك ما نجده في عكاظ عند النابغة الذبياني وفي يثرب حين دخلها النابغة فأسمعوه غناء ما كان في شعره من إقواء؛ وفي مكة حين أثنت قريش عن علقمة الفحل، ومن ذلك ما يعزى إلى طرفه من أنه عاب على المتلمس نعته البعير بنعوت النياق وما أخذه الناس على المهلهل بن ربيعة من أنه كان يبالغ في القول ويتكثر» **(المصدرنفسه:١٨)** بالإضافة إلى ما تقدم ذكره لكل قصيدة وحدة موضوع وغرض«أن القارئ أو الناقد لا يستطيع أن ينكر دوره في تشكيل حاضر القصيدة لتوصيل تجربة الشاعر وأفكاره من خلال الدور الذي يقوم به في موازاة كثير من عناصر العملية الشعرية من صوت ولفظ ومعنى وأفكار وشعور»**(الخرابشة،٢٠١٨: ١٣)** بالإضافة إلى قوة ملكتهم الذهنية فان الجانب الروحي عندهم كان غاية في النقاء وقد جعلوا من اللغة وسيلتهم لإظهاره« باشتغال الملكات الذهنية والأنشطة العرفانية بصفتها تمثيلات؛ ذلك أن المعنى تصور ذهني واللغة تمثل هذا التصور، بل تحقيق له لأن المعنى يتأثر بجوانب الذاكرة والقصد والتفكير والتحليل وغيره»(بن يونس،٢٠٢٠: ١) مما لا شك والموكد أن العرب في العصر الجاهلي كانت معرفتهم بأخلاقيات النقد واعية وكافية لتجعل من عملية النقد موضوعية «وقد تجلى هذا المفهوم عند القدماء بمصطلحات أخرى ترتبط بتسمياتها الحديثة»**(مرادي،وسليمي،١٤٣٤هـ::٩٤-٩٥)**فهم مارسوا النقد لكنهم لم يسموه بهذا الاسم بشكل صريح مع انهم كانوا يعنونه أي(النقد) بوجه خاص «فكانت عكاظ سوقاً تجارية يباع فيها ويشترى طريف الأشياء والحاجي منها، وكان يأتيها العرب لذلك من كل فج حتى من الحيرة، وكانت مجمعاً لقبائل العرب يفدون عليها للصلح أو التعاهد أو التفاخر أو إداء ما على الاتباع للسادة من إتاوات وكانت موعداً للخطباء والدعاة؛ وكانت فوق ذلك كله بيئة من بيئات النقد الأدبي يلتقي الشعراء فيها كل عام. وذائع مستفيض في كتب الأدب أن النابغة الذبياني كانت تضرب له فيها قبة حمراء من جلد فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها وذائع مستفيض في كتب الأدب مشهد من تلك المشاهد التي كانت بين النابغة والشعراء في عكاظ أنشده الأعشر مرة ثم أنشده حسان بن ثابت ثم شعراء من بعده، ثم الخنساء أنشدته قصيدتها في رثاء أخيها صخر التي منها:

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فأعجب بالقصيدة، وقال لها لولا أن أبا بصير – يعني الأعشى – انشدني» **(إبراهيم،١٩٣٧: ١٨)** فالنص الشعري العربي قائم على قواعد ملزم الجميع بالسير خلالها للوصول إلى وجان المتلقي منه كذلك قصص المقدمات الطللية التي نقرؤها في بداية كل قصيدة نظمت في عصر ما قبل الإسلام» **(نصيري،٢٠٢١: ٢٣٤)** لقد كان النص الشعري بعد انطلاقته عرضة للنقد والتمحيص وكثيرا ما سمعنا بمراجعات النابغة الذبياني وتصحيح عيوب أشعاره منه عيب الإقواء في قضية(الغراب الأسود)«فيروى أن النابعة فهم ذلك فغيره قال: وإنما سميته إقواء لتخالفه؛ لأن العرب تقول: أقوى الفاتِلُ إذا جاءت قوةً من الحبل تخالف سائر القوى. قال: وسميت تغير ما قبل حرف الروي سنادًا من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه ليس مستويا كهذا. ومثل ذلك من الشعر): [الخفيف]

فاملئي وجهكِ الجميل خُموشا

والإبطاء رد القافية مرتين كقوله: [الطويل]

وتخزيك يا ابن القين أيام دارم» **(المرزباني،١٩٩٥: ٢٩)**

«ونعت اللفظ) أن يكون مما سهل مخارج الحروف من مواضعها عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة مثل أشعار يؤخذ فيها ذلك وان خلت من سائر النعوت للشعر منها أبيات من تشبيب قصيدة الحادرة الذبياني وهي)

وتصدقت حتى استبتك بواضح صلت كمنصب الغزال الا تلمع

وبمقتلي حوراء، تحسب طرفها وسنان حرة مستهل المدمع» **(أبن جعفر،١٣٠٢: ٨)**

الإستنتاجات:

أن الأخلاق في النقد الأدبي العربي عملية تكاملية تكوِنها ذات الأديب الناقد وبيئته التي غرست انطباعاتها في أفكاره ومعتقداته الفكرية ,السياسية والاجتماعية...الخ وثقافة الأديب والكاتب إذ أن الأعمال التي لاقت نجاحاً بائناً هي الأعمال التي تشارك في إنتاجها الشاعر أو الأديب ووقعت بين يدي الناقد المحايد الذي يراعي أخلاقيات النقد في تبيين النجاحات والإخفاقات، ولم تتغير تلك القواعد ونظم السلوك الأخلاقي للعمل النقدي الأدبي سواء في النقد الأدبي العربي القديم أو النقد الأدبي العربي الحديث والمعاصر إلا في شكليات بسيطة وهينة.

المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم:
٢- أنيس، إبراهيم. (١٩٧٦). دلالة الألفاظ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
٣- أمين، أحمد. (٢٠٠١). النقد الأدبي، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
٤- إسماعيل عز الدين. (١٩٩٢). الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفسير ومقارنة، القاهرة: دار الفكر العربي.
٥- إبراهيم، طه أحمد. (١٩٣٧) النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، القاهرة: قسم اللغة العربية كلية الآداب.
٦- ابن جعفر، قدامة. (١٣٠٢هـ). نقد الشعر، قسطنطينه: مطبعة الجوائب.
٧-ابن فارس. (١٩٧٩) معجم مقاييس اللغة. تحقيق محمد عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
٨-ابن منظور. (١٩٩٩). لسان العرب. ج١٤. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٩- بن يونس، شهرزاد. (٢٠٢٠). محاضرات في علم الدلالة، ماضرا للماستر في علم الدلالة، الرصيد٤، المعامل ٢٠ .
١٠- جابر عصفور. (١٩٩٥). مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
١١-الجمحي، ابن سلام. (١٣٩-٢٣١). طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، شرحه محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني.
١٢- سعيد وحنون. (٢٠١٩). الاتجاه الأخلاقي في نقد الشعر، مجلة آداب المستنصرية، العدد٨٧، من إلى ٣٤١-٣٦٢.
١٣- الحاوي، إيليا. (١٩٨٦). في النقد والأدب مقدمات جمالية عامة وقصائد محلله من العصر الجاهلي ج١، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
١٤- الحارثي، محمد مريس. (١٩٧٦). ابن قتيبة ونقد شعره، رسالة ماجستير كلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز.
١٥-خاقاني، محمد. (١٣٩٦) البلاغة الجديدة تنظير البلاغة البيان والتبيين، طهران: تنظيم دراسة وتحرير قسم العلوم الإنسانية بالجامعات.
١٦- الخرابشة، علي قاسم. (٢٠١٨). ظاهرة الإيحاء في الشعر العربي الحديث، مجلة التواصل الأدبي، العدد العاشر، من ١١ -٥٥.
١٧- الرازي، احمد بن حمدان. (١٩٩٤). كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، اليمن: مركز البحوث والدراسات اليمني.
١٨- الراغب الأصفهاني. (١٤١٢ هـ). المفردات في غريب القرآن ج١، تح مركز الدراسات والبحوث، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.
١٩- الزمخشري، جار الله. (١٩٩٨) أساس البلاغة ج١، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية.
٢٠-زيناي، طارق،٢٠٢٠) إشكالية العلاقة بين الشعر والأخلاق في النقد العربي القديم، مخبر قضايا الأدب المغاربي جامعة البويرة، المجلد الخامس، العدد الأول. من ٩١-١٠٤.
٢١- عمر أحمد مختار. (١٩٨٥). علم الدلالة، القاهرة: عالم الكتب.
٢٢-عباس، احسان. (١٩٧١). تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري، بيروت: دار الثقافة.
٢٣-عتيق، عبد العزيز. (١٩٧٢). تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار النهضة العربية.
٢٥-نتوف احمد، حسين عبد الكريم. (٢٠١٠). دراسات في النقد العربي القديم، دمشق: منشورات جامعة دمشق.
٢٦- نعاس، وليد شاكر. (٢٠١٤). المكان والزمان في النص الأدبي الجماليات والرؤيا، دمشق: تموز للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٧- نعيمة، ميخائيل. (١٩٩٠). دروب، بيروت لبنان: مؤسسة نوفل.
٢٨- لكواز، محمد كريم. (٢٠٠٦). البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، بيروت: الانتشار العربي.
٢٩-ضيف، أحمد. (٢٠١٧). مقدمة لدراسة بلاغة العرب، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
٣٠-الفيروز آبادي. (٢٠٠٨): القاموس، المحيط، تحقيق، الشامي أنس، جابر زكريا، القاهرة: دار الحديث.
٣١-الفراهيدي لخليل. (١٩٨٠). كتاب العين، ج٤، مادة.، خ، ل، ق، بيروت: مؤسسة آية الله العظمى الميلاني لإحياء الفكر الشيعي.
٣٢-قصاب، وليد. (٢٠٠٥). المذاهب الأدبية الغربية رؤية فكرية وفنية، دمشق: مكتبة فلسطين للكتب المصورة.

٣٣-محمد هادي مرادي، سيدة فاطمة سليمي. (١٤٣٤). الدلالات الهامشية بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث، مجلة العلوم الإنسانية والدولية،١٤٣٤ هـ. ق، العدد ٢٠، المجلد١ من ٨٩-١٠٦.

٣٤- المجالي، جمال. (١٩٩٢). طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت: دار الجيل.

٣٥-المرزباني، محمد. (١٩٩٥). الموشح، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٦- ميرزائي، حسين. (٢٠٢١). الصراع الانثورجولي في الرواية العربية رواية المحبوبات لعالية ممدوح أنموذجا، مجلة الكلية الإسلامية، العدد٦٦، المجل د١، الجامعة.

٣٧- نصيري، روح إله. (٢٠٢١). نماذج قصصية في شعر النابغة الذبياني، مجلة اللغة العربية وآدابها- الكوفة، العدد ٣٣ (٢٢٩-٢٥٦).

هوامش البحث

[١] - هذا عجز بيت للنابغة. وصدره أمن آل مية رائح أو مغتدي». (ديوانه). (٢) أي أنه انتبه إلى الإقواء فغير قوله إلى: وبذاك تنعاب الغراب الأسودة كما في الديوان (٣) عجز بيت للفضل بن العباس اللهبي وسيأتي. (٤) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة، كما في اللسان (نقا).... هامش (المرزباني، محمد. (١٩٩٥). الموشح، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية. ص٢٩